أثرحكمة الأخلاق في النثر العربي في القرن الثالث الهجري

* صائمه صديقي
**الحافظ عبدالرحيم

Abstract

The prose literature of Arabic is very rich which played pivotal role in catering the social and religious values. Thisarticle"WISDOM OF TEHZEEB-UL-AKLAQ (ETHICS) AND ITS INFLUENCE UPON ARABIC PROSE " discuss influence of ethics upon the prose literature in general.we come to know meanings of ethics in the he light of famous thinkers.The first systematic writer on philosophical questions in Islam wasalfarabi, who had also contributed to ethical discussions,the other most important writer on ethics in Islam, was Ahmad ibn Muhammad ibnMiskawayh. He laid down in hisbook Tahdhib al Akhlaqand other ethical writings the groundwork for a whole tradition of Persian ethical writing, specific blend of philosophical and religious ethics is characteristic of the writings of some late authors, including Abu Hamid al Ghazali, and others. Al Ghazaliis the foremost representative of this group, who in both his ethical treatise Mizan al-amaland his religious summa, al-Ihya' 'ulum al-din, has developed an ethical theory in which Platonic psychology serves as the groundwork of an essentially Islamic and mystical worldview. The article focuses on WISDOM OF TEHZEEB-UL-AKLAQ (ETHICS) AND ITS INFLUENCE UPON ARABIC PROSE along we discussed influence of ethics upon the prose literature in general. All the prominent prose writers of that era likeAljahiz, IbnQuteeba ,Al Mubared, and IbnAbdRubho, gave specific importance to the Ethic, and we have highlighed it in our research.

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ، وعلى آله، وصحبه أجمعين.أمابعد!

نتكلم أولا مفهوم الأخلاق لغة واصطلاحاً ثمّ نتناول آراء وأفكار العلماء القدامى خاصة اليونانيين الذين تأثرالمسلمون بها كثيرا وكذلك آراء الحكماء المسلمين منهم:الفارابي والغزالي ومسكويه . وتأثرجميع حكماء وأدباء المسلمين في القرن الثالث الهجري في حكمة الأخلاق.

وموضوع بحثنا حكمة تهذيب الأخلاق نتحدثها و نبحث عن أثرها في النثر العربي.يستعمل مصطلحات عديدة لها كعلم الأخلاق و تهذيب الأخلاق و فلسفة الأخلاق وأدب الأخلاق و حكمة الأخلاق أو الحكمة الخلقية.

*محاضرة اللغة العربية بالكلية الحكومية -مخدوم رشيد،ملتان
** أستاذ اللغة العربية بجامعة بهاء الدين زكريا ملتان.

الأخلاق في اللغة:

"الخُلْقُ بالضم وضمتين السجية والطبع والمروأة والدين".([1]) ويقول ابن منظور:"الخُلُقُ والخُلْقُ السجية .. فهو بضم اللام وسكونها الدين والطبع والسجية." ثم يفسر ابن منظور ذلك بقوله: " وحقيقته،أي الخلق، أنه لصورة الإنسان الباطنة، وهي نفسه ، وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخَلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها ولهما أوصاف حسنة وقبيحة".([2])

وفي هذا المعنى يقول الراغب الأصفهاني:"الخُلْقُ في الأصل شيء واحد كالشّرب والشُّرب والصَّرْمِ والصَّرْمِ لكن خص الخَلْقُ بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر ، وخُص الخُلْقُ بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة. قال تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ}[القلم: 4].([3])"

الأخلاق في الاصطلاح:

عرض العلماء في الأخلاق بتعريفات كثيرة لا يتسع المجال لذكرها ولكن سنذكر أراءأبرز حكماء المسلمين ومنهم :

1- عرف الفارابي (ت 339هـ) بأنها "علم يفحص عن الغرض الذي لأجله كون الإنسان وهو الكمال الذي يلزم أن يبلغه ثم يفحص عن جميع الأشياء التي بها يبلغ الإنسان ذلك الكمالأو ينتفع في بلوغه وهي الخيرات والفضائل والحسنات ويميزها عن الأشياء التي تعوقه عن بلوغ ذلك الكمال وهي الشرور والنقائص السيئات."([4])

2- عرف ابن مسكويه (ت 431هـ) الأخلاق بأنها " حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية. وهذه الحال تنقسم إلى قسمين: منها ما يكون طبيعياً من أصل المزاج، كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء نحو غضب ويهيج من أقل سبب ، وكالإنسان الذي يجن من أيسر شيء كالذي يفزع من أدنى صوت يطرق سمعة أو يرتاع من خبر يسمعه، وكالذي يضحك ضحكاً مفرطاً من أي شيء يعجبه،وكالذي يغتم ويحزن من أيسرشيء يناله. ومنها ما يكون مستفاداً بالعادة والتدريب، وربما كان مبدؤه الفكر، ثم يستمر عليه أولاً فأولاً حتى يصير ملكة وخلقاً ".([5])

3- عرف الغزالي(ت 505هـ) بأنها " هيئة راسخة في النفس تصدر عنها الأفعال بيسر وسهولة من غير حاجة إلى فكر وروية "([6]).

4- قال التهانوي (ت 1158هـ) في هذا الصدد: إما علم بمصالح شخص بانفراده، ويسمى تهذيب الأخلاق، وعلم الأخلاق والحكمة الخلقية. وفائدتها تهذيب الأخلاق أي تنقيح الطبائح بأن تعلم الفضائل وكيفية اقتنائها لتزكى بها النفس، وأن تعلم الرذائل وكيفية توقيها لتطهرعنها النفس.([7])

ونلاحظ فإن التعريفات السابقات قد كشفت لنا معان مهمة من معاني الأخلاق فهي صفات مستقرة في النفس الإنسانية تصدر عنها لأفعال وردوها سريعة بطريقه تلقائية لا تكلف فيها ، وبهذا تظهر الأخلاق . يستعمل اللفظ في معنى القوى الغريزة" أي الهيئة الموجودة في النفس التي يصدر عنها الفعل بلا فكر"

وهذا قريب من معنى السجية والطبع Character.ويستعمل للدلالة على الحالة المكتسبة التي يصير بها الإنسان خليقا أن يفعل شيئًا دون شيئ كمن هو خليق بالغضب لحدة مزاجه وهذا قريب من معنى المزاج temperament.

علم الأخلاق عند الحكماء المسلمين

الأخلاق عند الفارابي (ت 339هـ)

ترجم الفارابي "كتاب الأخلاق" لأرسطو إلى العربية وهو أكبر كتاب لدى المسلمين في الأخلاق الفلسفية. وهناك كتب أخرى نقلت من اليونانية إلى العربية في هذا الموضوع ، تفسير فرفوريويس" الذي ترجمه إسحق بن حنين، وأيضا كتاب "الجمهورية والسياسية" لأفلاطون: أما أهمها على الإطلاق فهو كتاب "أثولوجيا". وهو كتاب مشتمل على المباحث الأخلاقية للنظرية الأفلاطونية الجديدة.

"والأخلاق عند الفارابي هي علم يفحص عن الغرض الذي لأجله كون الإنسان وهو الكمال الذي يلزم أن يبلغه ثم يفحص عن جميع الأشياء التي بها يبلغ الإنسان ذلك الكمال أو ينتفع في بلوغه وهي الخيرات والفضائل والحسنات ويميزها عن الأشياء التي تعوقه عن بلوغ ذلك الكمال وهي الشرور والنقائص السيئات وهذا هو العلم المدني وهو علم الأشياء التي بها أهل المدن ينال السعادة كل واحد بمقدار ما اعد له بالنظر."([8])

وبرأيه أن الأخلاق المحمودة أو المذمومة هي كالصناعات فكما أن الحذق في الكتابة لا يحصل إلا بالعادة والمران هكذا الأخلاق أيضاً فهي لا تكتسب إلا بالممارسة.

وعرف أبو نصر الخلق بقوله "هو الذي تصدر به عن الإنسان الأفعال القبيحة والحسنة بمعنى آخر هو الذي تكون به الأفعال وعوارض النفس إما جميلة أو قبيحة"([9])وقسم الفارابي الخلق إلى نوعين:

1- الخلق الجميل:وهو الفضيلة الإنسانية ومتى حصل لنا خلق جميل وصارت لنا قوة الذهن حصلت السعادة.والخلق الجميل يحصل عن الاعتياد والأفعال متى كانت متوسطة "معتدلة" حصل الخلق الجميل .

2- الخلق القبيح :"وهو عكس الخلق الجميل ويرى الفارابي أن الخلق القبيح هو نوع من السقم النفساني."([10])

والأخلاق عند الفارابي ممارسة فإن الأشياء التي إذا اعتدناها اكتسبنا الخلق الجميل هي الأفعال التي شأنها أن تكون في أصحاب الأخلاق الجميلة والتي تكسبنا الخلق القبيح هي الأفعال التي تكون من أصحاب الأخلاق القبيحة.

الأخلاق عند ابن مسكويه (ت 421هـ):

هو أحمد بن محمد بن يعقوب الملقب مسكويه" وقد تبحر في الأخلاق الفارسية لفارسيته، وفي الأخلاق اليونانية لثقافته بها. وقد ألف في الأخلاق كتبا كثيرة مثل "تهذيب الأخلاق"والفوز الأصغر" "وكتاب جاويدان خرد" بمعنى العقل الخالد إلى غير ذلك من كتب تدور كلها حول الأخلاق. وكانت مصادره في الأخلاق : (1) الفلسفة اليونانية، (2) الكتاب والسنة (3) تعاليم الفرس و حكمهم،(4) تجاربه الشخصية. وكان أيضا قد اطلع على فلسفة الكندي (ت 252هـ) والفارابي (ت 339هـ) ففلسف الأخلاق بعد أن

كانت حكمة؛ وعني بمعرفة النفس وقرأ فيها كثيرا، وحللها كثيرا، وبنى فلسفته الأخلاقية على العلم بالأمور لنفسية أيضا واطلع فى الأخلاق على الآراء افلاطون وأرسطو و جالينوس.

يقرر مسكويه أن الأفعال والقوى التي يختص بها الإنسان من حيث هو إنسان وبهاتتم إنسانيته و فضائله: ليست هي الأفعال التى تصدر عن جسمه والتي تشترك معه فيها الحيوان، مثل التغذية والنمو والإحساس، والتي هي موضوع العلم الطبيعي، بل هى "الأمور الإدارية التي تتعلق بها قوة الفكر والتمييز.([11])

واجتهد أن يوافق بين المذاهب اليونانية المختلفة ودين الإسلام.و نقل الأخلاق نقلة جديرة بفلسفتها؛ وإن كان شاركه في ذلك العمل غيره، مثل محمد أبي بكر الرازي (ت 320) وأخوان الصفا. لقد بدأ قبله الجاحظ في فلسفة الأخلاق، كما فصل في رسالة (الحاسدو المحسود) وكما فعل في تحليل نفس أحمد بن عبدالوهاب، وكالذي نجده من حين إلى حين في بعض رسائله، وفي كتاب الحيوان. ولكن مزية مسكويه أنه وضع للأخلاق نظاما شاملا وفلسفة كلية. ولقد كان مسكويه على ما يظهر متدينا يحافظ على العقائد الإسلامية في أثناء كتابته ولا يقبل من الفلسفة اليونانية والفلسفة الوثنية على العموم إلا ما يتفق والإسلام.([12])

الأخلاق عند الغزالي (ت 505هـ):

ألف الغزالي في الفقه والأصول والكلام ، وفي المنطق والفلسفة والتصوف مؤلفاته كثيرة في علم الأخلاق وأهمها كتاب "إحياء علوم الدين". وإنَّما بالمعنى الذي أطَّره الإمام الغزالي بقوله: "الخلق عبارةٌ عن هيئةٍ في النَّفس راسخةٌ، عنها تصدر الأفعال بسهولةٍ ويسرٍ من غير حاجةٍ إلى فكرٍ وروِيَّة... وإنَّما اشترطنا أن تصدر الأفعال بسهولة من غير روِيَّة لأنَّ من تكلَّف بذل المال أو السُّكوت عند الغضب بجهد وروِيَّة لا يقال خُلُقُهُ السَّخاء والحلم".[13]

يقول الدكتور زكي مبارك: "كلمة أخلاق وجدت قبل الغزالي... و لكنه يفهم علم الأخلاق بشرح طرائق السلوك ، وفقا لما سنة الشريعة السمحة، ورسمه الصوفية فعلم الأخلاق عنده هو تكييف النفس وردها إلى مارسمته الشريعة و خطه رجال المكاشفة من علماء الإسلام، ومن سبقهم من الأنبياء، والصديقين، والشهداء . ويؤيد أبحاثه بكلام الصوفية و ربما نقل ماروي عن عيسى و موسى وداؤد ومن إليهم من الأنبياء.([14])

أصول الفضائل فيما يرى الغزالي أربعة: الحكمة والشجاعة والعفة والعدل... ولهذه الأصول فروع ، فمن اعتدال قوة العقل يحصل: حسن التدبير، وجودة الذهن وإصابه الظن، والتظن لدقائق الأعمال، وخفايا آفات النفوس. وأما خلق الشجاعة فيصدر عنه: الكرم ، والنجدة والشهامة وكسر النفس، والاحتمال، والحلم، والثبات، وكظم الغيظ، والتودد. وأما خلق العفة عنه: السخاء، والحياء، والصبر ، والمسامحة ، والقناعة ، والورع، واللطافة ، والمساعدة و الظرف، وقلة الطمع."([15])

واجتهد أن يوافق بين المذاهب اليونانية المختلفة ودين الإسلام. و نقل الأخلاق نقلة جديرة بفلسفتها.

أثرحكمة الأخلاق في الأدب العربي

كانت الأخلاق من أول عهد الإسلام مبنية على الدين الإسلام و مصدرها القرآن الكريم والأحاديث النبوية وحكم وأمثال وصلت إليهم من الأدب العربي. فلما دخل كثير من الفرس في الإسلام وكانت لهم ثروة كبيرة من الحكم والأمثال في جميع مرافق الحياة نقلوها إلى العربية، و كان الإيرانيون في العصر الساساني يهتمون بكتب النصائح والحكم ، وكانوا يطلقون على عناوينها "اندوزنامة" و "بندنامه" وهى مشتملة على مواعظ ووصايا في الآداب والأخلاق منسوبة إلى الملوك الساسانيين وحكماء إيران القدماء.([16])

تعد الأخلاق والحكمة العملية أحد الموضوعات التي ترجم كثير من كتبها من اللغة البهلوية إلى العربية ، وتركت أثرا ظاهرا في الأدب العربي . "لقد استقبل المجتمع الإسلامي كتب الأخلاق والحكمة العملية الساسانية استقبالا حافلا، وأحرزت شهرة عريضة وأهمية بالغة بين طبقة الكتاب المسلمين وأهل الأدب أكثر من تأثرها بالفلسفة اليونانية، لقربها إلى العقل العربي الذي يحب تركيز تجارب السنن الطويلة في كلمات قصيرة، ولهذا لما عثر العربي على هذا النوع من الحكم أعجب به وأدخله في تراثه وأضاف إليه ماكان له في الجاهلية."([17])

عرض الأدباء العرب كتبا كثيرة في هذا الموضوع منها: الأدب الكبير والصغير لابن المقفع و عيون الأخبار لابن قتيبة والكامل للمبرد وكتاب التاج والحيوان والرسائل للجاحظ والعقد الفريد لابن عبد ربه.

فمثلاً نقل ابن المقفع (ت 146هـ) حكم الفرس وأمثالهم، وقصصهم، والقصص الرمزية التي تشير إلى الأخلاق ككليلة و دمنة ، وملأ اللغة العربية بهذه الجمل اللطيفة الرشيقة التي تدل على عقل واسع، وتجربة ناضجة هذه حكم في الأخلاق الفدية، و الأخلاق الاجتماعية.([18])

ونقدم هنا نموذجا من كتابه "الأدب الصغير"

- الدنيا دول فما كان لك منها أتاك على ضعفك، وما كان عليك لم تدفعه بقوتك.([19])
- ومن العلم أن تعلم أنك لا تعلم بمالا تعلم.([20])
- وقال بزرجمهر في ذم المرض: إن كان شئ فوق الموت فهو المرض وإن كان شئ مثله فهو الفقر، وإن كان شئ فوق الحياة فهو الصحة و الشباب، وإن كان شئ مثلهما فهو الفني.([21])

حكمة الأخلاق في القرن الثالث الهجري:

دونت كتب الأخلاقية والحكمة العملية في العصور الإسلامية . وتشكل أهم قسم من أقسام الأدب الإسلامي عامة و العربي خاصة.الفرق بين الأدب الفارسي والأدب اليوناني الذي يتأثر العقل العربي هي تسمى "الأدب الأخلاقى" المجموعة من التعاليم والأمثال والحكم والموضوعات الأخلاقية التي جمعها مؤلفوا الآثار الأدبية العربية من مختلف الثقافات، ويعد كتاب "عيون الأخبار"لابن قتيبة والعقد الفريد لابن عبدربه والكامل في اللغة والأدب للمبرد وسلوك المالك في تدبير الممالك ابن أبي الربيع نموذج قيم لهذا النوع.

اهتم الجاحظ علم الأخلاق في معظم كتبة.فعلى صعد الحكمة الأخلاق يمكن القول إن حكمةالجاحظ الأخلاقية مبثوثة في معظم كتبه، فإن كتبه بعيدة في عناوينها عن الأخلاق بل هي ليست أقل قيمة من الكتب الوضحة الأنتساب إلى الأخلاق على سبيل المقال أن كتابه "الحيوان" حشر الكثير من الرؤي والمواقف الأخلاقية ، وكذلك شأن كتابه المحاسن والأضداد الذي هو في محورة كتاب في الأدب واللغة.

أما القيم الأخلاقية فقد كان نصيبها أكثر من سبعة كتب ورسائل كبيرة ، فقد تناول الأمانة والائتمان في كتاب مستقل هو استنجاز الوعد ووقف عند العداوة والحسد والحاسد والمحسود. وتناول الأمانة والائتمان و خاصة فيما يتعلق بحفظ السبر في كتاب كتمان السروحفظ اللسان. ومثل ذلك فعل فى المؤدة والخلطة في كتاب حمل العنوان ذاته. ووقف عند الجد و الهزل في كتاب بالعنوان ذاته أيضا. وأفرد لقيمة النبل وما يتعلق به كتابا حمل عنوان النبل والتبل وذم الكبر.([22])

أما الأخلاق المشخصة أي توصيف الأخلاق المعاشة أو الممارسة واقعيا فقد خصها بأكثر من عشرين كتاب مما عرفناه من كتبه المنشورة ناهيك عن المفقود وغير المنشور وغير الموجود. فإلى جانب البخلاء كانت رسالته في الأخلاق التي حملت عنوان المعاش والمعاد، التي هي روة في الأخلاق النظرية والأخلاق المشخصة المعاشة في الوقت ذاته، وربما يمكن إدراج التربيع والتدوير في هذا الإطار بوصفها قراءة في أنموذج فردى من الأخلاق المشخصة.([23])

إن نقد أخلاق البخلاء على نحوٍ خاص إلى جانب كونها صورة جمالية مبدعة هي ممارسة نقدية أخلاقية مستندة إلى الأساس النظري لنظريته الأخلاقية في كون مصدر القيم إلهيا من جهةٍ أولى وفي أن البخل ضرب من الشر الذي لا بد من وجوده من جهةٍ ثانيةٍ. ولكن ضرورة وجود الشر لا تمنع نقده ولا تعني تقبله. وكذلك الأمر في بقية المباحث الأخلاقية التي تناولها الجاحظ فإنها إنما تقوم على رؤيةٍ فلسفيةٍ متكاملةٍ.

أسباب تباين الطبائع والأخلاق:

يريد الجاحظ من نزوع الإنساني أو قد يريد القول بتماثل الناس وتشابههم في الميول والطبائع والأهواء... في حين أن الواقع ينطق بغير ذلك تماماً، فالناس أممٌ وشعوبٌ وقبائل، وحتى الأمة الواحدة فيها من الاختلاف والتباين ما يكاد يداني الفوارق بين أمة وأخرى، فكيف وفق مفكرنا بين نزوعه الإنساني والواقع المليء بالاختلافات والتناقضات؟([24])

النماذج من أثر البيئة في طبائع الإنسان وأخلاقه:

ويعرض الجاحظ لنماذج كثيرة من البخلاء والمغنيين والكتاب والمعلمين والغلمان والجواري والوكلاء والتجار وسواهم. ومنها ما هو على المستوى الجمعي من حيث يتصل باقتفاء أفراد أمةٍ ما أو بلدٍ ما ضروباً معينةً من أنماط السلوك والأخلاق والعادات والأعراف والتقاليد... وانتقال ذلك من جيلٍ إلى جيلٍ بانطباع الجديد بالقديم من حيث يدري أو لا يدري عبر ما يمكن أن نسميه التأثير البيئي الشامل في الأفراد، ومن ذلك نجد حديثه في خصال قريش وهاشم ومصر والكوفة والبصرة ومناقب الترك والعثمانية والنابتة والبيضان والسودان.([25])

إذا كان اجتماع الناس ضرورةً اجتماعيةً مهمة ,فإن الأخلاق في نظر الجاحظ تمثل الأساس الذي لا معدى عنه لهذه الضرورة. ذلك أن حاجة الناس إلى بعضهم بعضاً لازمةٌ غير منقطعةٍ، بل هي طبعٌ قائمٌ في جواهر البشر، كل البشر، لا يزول ولا يحول يقول"ثم اعلم، رحمك الله تعالى، أن حاجة بعض الناس إلى بعضٍ، صفةٌ لازمةٌ في طبائعهم، وخلقةٌ قائمةٌ في جواهرهم، وثابتةٌ لا تزايلهم، ومحيطةٌ بجماعتهم، ومشتملةٌ على أدناهم وأقصاهم، وحاجتهم إلى ما غاب عنهم مما يعيشهم ويحييهم، ويمسك بأرماقهم، ويصلح بالهم، ويجمع شملهم".(26)

ولعل الجاحظ يميل إلى أن الأخلاق الاجتماعية، أو الأخلاق العملية المقارنة للسلوك الاجتماعي اليومي المرتبطة بمتطلبات الحياة الضرورية، إنما هي خبرةٌ تراكميةٌ تنتقل من حينٍ إلى حينٍ عبر وسائط مختلفةٍ، فكانت، بذلك، حاجة الناس إلى أخبار من سبقهم حاجة ضرورية أيضاً، ولذلك قال: "وحاجتنا إلى معرفة أخبار من كان قبلنا، كحاجة من كان قبلنا إلى أخبار من كان قبلهم، وحاجة من يكون بعدنا إلى أخبارنا، ولذلك تقدمت في كتب الله البشارات بالرسل، ولم يسخر لهم جميع خلقه، إلا وهم يحتاجون إلى الارتفاق بجميع خلقه، وجعل الحاجة حاجتين: إحداهما قوام وقوت، والأخرى لذة وإمتاع وازدياد في الآلة، وفي كل ما أجذل النفوس، وجمع لهم العتاد، وذلك المقدار من جميع الصنفين وفقٌ لكثرة حاجاتهم وشهواتهم، وعلى قدر اتساع معرفتهم وبعد غورهم، وعلى قدر احتمال طبع البشرية وفطرة الإنسانية، ثم لم يقطع الزيادة لعجز خلقهم عن احتمالها، ولم يجز أن يفرق بينهم وبين العجز، إلا بعدم الأعيان، إذ كان العجز صفةً من صفات الخلق، ونعتاً من نعوت العبيد".(27)

وهنا نذكر نماذج الأخلاق عند الجاحظ فن خلال كتبه و رسائله كالمحاسن والأضداد والرسائل العديده وغيرهما.

مساوئ الكذب:

قيل: وجد في بعض كتب الهند: ليس لكذوب مروءة، ولا لضجور رياسة، ولا لملول وفاء، ولا لبخيل صديق. وقال قتيبة بن مسلم: لا تطلبن الحوائج من كذوب، فإنه يقربها وإن كانت بعيدة، ويبعدها إن كانت قريبة؛ ولا إلى رجل قد جعل المسألة مأكلة، فإنه يقدم حاجته قبلها، ويجعل حاجتك وقاية لها؛ ولا إلى أحمق فإنه يريد نفعك فيضرك.

وقيل: أمران لا ينفكان من كذب: كثرة المواعيد، وشدة الاعتذار. وقيل: كفاك موبخاً على الكذب، علمك بأنك كاذب. وقال رجل لأبي حنيفة: ما كذبت قط، قال: أما هذه فواحدة. ويقال: أكذب من سياح خراسان، لأنهم يجتازون في كل بلد، ويكذبون للسؤال والمسألة. ويقال: هو أكذب من الشيخ الغريب، وذلك أنه يتزوج في الغربة، وهو ابن سبعين سنة، فيزعم أنه ابن أربعين. ويقال: هو أكذب من مسيلمة وبه يضرب المثل.(28)

والكذب : الكذب أساس كل ذنب ثبت من الحديث ليمكن أن يكون المؤمن جبانا ولا يمكن أن يكون كذابا. مع ذلك أجاز النبى عليه الصلوة على ثلاثة مواقع لكذب .قام ابن قتيبه باب خاصاً" باب الكذب " ونقل قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم:قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "لا يصلح الكذب إلا في ثلاثة مواضع: الحرب فإنها خدعة والرجل يصلح بين أثنين والرجل يرضي امرأته".

حدثني محمد بن عبيد قال: حدثنا بربر بن هارون قال: أخبرنا سفيان ابن حسين عن الزهري عن حميد بن عبدالرحمن عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "لم يكذب من قال خيراً وأصلح بين اثنين". ([29])

القناعة:

كان يقال أروح الروح القناعة، وهي أقصى رتبة الفقير كما أن أقصى رتبة الغني الشكر. وقال علي بن عبيدة: "القناعة نعمة جسيمة، ورزق واسع، وحصن حصين، وألفة دائمة، وراحة عظيمة، وعيش صاف، ودعة للبدن، وعزة للنفس، وصيانة للعرض، وحياة طيبة، وسلامة وعافية فان وفق صاحبها للصواب في التمييز، واختيار ما يستحق به الاصطفاء صفا من الشكوك وعصمة الله (والله لا يحب كل مختال فخور).قال بزر جمهر: إذا كان قاسم رزقي هو الله وما قد قسمه فليس يغيره أحد فلم أتحمل منة الخلائق؟" ([30])

التواضع:

هذا ماذكره الجاحظ في محاسن الاضداد,وقال في الأخلاق النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك أنا لم نر و لم نسمع لأحد كتواضعه.([31]) يروى ابن قتيبة عن وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "هون عليك فإنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد".

الإجمال في الطلب:

قيل لبزر جمهر: متى يكون الإكداء خيراً من النجح?. قال: إذا أكدى بك الإجمال وأنجح بك سوء الطلب. قال الحسن البصري: لا تجاهد الطلب جهاد المغالب واتكل على القدر اتكال المستسلم، فإن ابتغاء الفضل من السنة والإجمال في الطلب من العفة. وليست العفة بدافعة رزقاً ولا الحرص بجالب فضلاً، لكن الرزق مقدور واستعمال الحرص اكتساب المأثم.

وفي كتاب كليلة ودمنة: ينبغي للعاقل أن يكون إدخاله يده في فم التنين وابتلاعه سمه أهون عليه من مسألة اللئيم. قال إبراهيم بن حفصة لابنه: يا بني صن شكرك عمن لا يستحقه واطلب المعروف ممن يحسن طلبك إليه واستر ماء وجهك بقناعتك.

قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه: مسألة الرجل السلطان كمسألة والده لا يشينه ولا ينقصه. قال بزرجمهر: أشد من الحاجة أن تكون إلى غير أهلها. قال آخر: فوت الحاجة خير من طلبها إلى غير أهلها.قال أكثم بن صيفي: خير ما فاتك ما توقي بفوته عرضك.([32])وقيل: مكتوب في التوراة: ابن آدم لا تسأل الناس، فإن كنت لا بد فاعلاً فسل معادن الخير ترجع مغبوطاً محسوداً.

قال بعض الحكماء: لا تسأل من لا يشفع لك عنده رغبة في الشكر أو يعينك عليه نية في المعروف. وقيل: مكتوب في التوراة: ابن آدم لا تسأل الناس، فإن كنت لا بد فاعلاً فسل معادن الخير ترجع مغبوطاً محسوداً.

محاسن حفظ اللسان:

ينقل الجاحظ آراء متفرقة من الحكماء العرب والعجم يجمعون كلهم أهمية الصمت والسكوت– ويشبه زل اللسان أخطر تعثر القدم وضع ذلك القيمة الجاحظ الاستماع. ويقول الاستماع سلامة.

قال أكثم بن صيفي: مقتل الرجل بين فكيه(يعني لسانه). وقال المهلب لبنيه: اتقوا زلة اللسان فإني وجدت الرجل تعثر قدمه فيقوم من عثرته، ويزل لسانه فيكون فيه هلاكه. قال يونس بن عبيد: ليست خلة من خلال الخير تكون في الرجل هي أحرى أن تكون جامعة لأنواع الخير كلها من حفظ اللسان. وقال قسامة بن زهير: يا معشر الناس، إن كلامكم أكثر من صمتكم، فاستعينوا على الكلام بالصمت، وعلى الصواب بالفكر. وكان يقال: ينبغي للعاقل أن يحفظ لسانه كما يحفظ موضع قدمه، ومن لم يحفظ لسانه فقد سلطه على هلاكه.([33])

محاسن كتمان السر ومساوئ إفشائه:

نجد أن الحكماء والأدباء يصررون على كتمان السرويحذرون أفشائه.قال الجاحظ: كان المنصور يقول: الملك يحتمل كل شئ من أصحابه إلا ثلاثاً: إفشاء السر، والتعريض للحر، والقدح في الملك. وكان يقول: سرك من دمك فانظر من تملكه. وكان يقول: سرك لا تطلع عليه غيرك، وإن من أنفذ البصائر كتمان السر حتى يبرم المبروم.([34])

ولما كان أعجب الأمور عند قوم فرعون السحر، ولم يكن أصحابه قط في زمان أشد استحكاماً فيه منهم في زمانه، بعث الله موسى عليه السلام على إبطاله وتوهينه، وكشف ضعفه وإظهاره، ونقض أصله لردع الأغبياء من القوم، ولمن نشأ على ذلك من لسفلة والطغام.

لأنه لو كان أتاهم بكل شيء، ولم يأتهم بمعارضة السحر حتى يفصل بين الحجة والحيلة، لكانت نفوسهم إلى ذلك متطلعة، ولاعتل به أصحاب الأشغاب، ولشغلوا به بال الضعيف، ولكن الله تعالى جده، أراد حسم الداء، وقطع المادة، وأن لا يجد المبطلون متعلقا، ولا إلى اختداع الضعفاء سبيلاً، مع ما أعطى الله موسى عليه السلام من سائر البرهانات، وضروب العلامات.

وكذلك زمن عيسى عليه السلام كان الأغلب على أهله، وعلى خاصة علمائه الطب، وكانت عوامهم تعظم على ذلك خواصهم، فأرسله الله عز وجل بإحياء الموتى، إذ كانت غايتهم علاج المرضى.

وأبرأ لهم الأكمه إذ كانت غايتهم علاج الرمد، مع ما أعطاه الله عز وجل من سائر العلامات، وضروب الآيات؛ لأن الخاصة إذا نجعت بالطاعة، وقهرتها الحجة، وعرفت موضع العجز والقوة، وفصل ما بين الآية والحيلة، كان أنجع للعامة، وأجدر أن لا يبقى في أنفسهم بقية. ([35])

استنجاز المواعد:

استنجاز المواعد من الثقافة العربية نقل ابن عبدربه في العقد الفريدكلمات في معنى هذا العنوان:من أمثالهم في هذا : أنجز حرما وعد.وقالوا: وعد الكريم نقد، ووعد اللئيم تسويف.وقال الزهري: حقيق على من أورق بوعد أن يثمر بفعل.وقال المغيرة: من أخر حاجة فقد ضمنها.وقال الموبذان الفارسي: الوعد السحابة، والإنجاز المطر.وقال غيره: المواعيد رءوس الحوائج والإنجاز أبدانها.

وقال عبدالله بن عمر: خلف الوعد ثلث النفاق، وصدق الوعد ثلث الإيمان، وما ظنك بشيء جعله الله مدحة في كتابه، وفخرا لأنبيائه، فقال تعالى: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا}[مريم:54].([36])

لقد نقل المبردعن الحكماء الساسانين كبزر جمهر([37]) وأرد شير([38]) ولكن في مواطن معدودة ، قال بزرجمهر: من كثر أدبه كثر شرفه وإن كان قبل وضيعا و بعد صيته وإن كان خاملا وساد وإن كان غريبا وكثرت الحاجة إليه وإن كان غريبا وكثرت الحاجة إليه وإن كان مقترا".([39])

- وقيل لرجل من ملوك العجم: متى يكون العلم شرا من عدمه؟ قال إذا كثر الأدب و نقت القريحة.
- وقال أرد شير : من لم يكن عقله أغلب خلال الخير عليه كان حتفه في أغلب خلال الخير عليه .([40])
- لم يتأثر المبرد من الحكماء الفارس فقط وهو أيضا ينقل أقوال الأنبياء عليهم السلام في هذا العدد ويروي عن المسيح الصلوات الله عليه وسلامه أنه كان يقول: إن احتجتهم إلى الناس فكلوا قصدا وامشوا جانياً.([41])

ننظر أن الذوق العربي استقبل هذا النوع من الحكم لقبوله الذوق الفارسي . مثل ما ورد في كتاب "العقد الفريد" تحت العنوان "أمثال أكثم بن صيفي وبزرجمهر" ولم يحدد مالكل منهما، فكان من الصعب التمييز في أكثرها بين ماهو لأكثم وما هو لبزرجمهر، فيمايلي ماورد في كتاب "العقد الفريد".

"العقل بالتجارب، الصاحب مناسب، الصديق من صدق عينيه بالغريب من لم يكن له حبيب، رب بعيد أقرب من قريب، القريب من قرب نفعه، لوتكاشفتم ما تدافنتم، خير أهلك من كفاك، خير سلاحك ما وقال، خير إخوانك من لم تخبره رب غريب ناصح الجيبة أخوك من صدقك، مكره أخاك لابطل، تباعدوا في الديار وتقاربوا في المحبة ، أحسن يحسن إليك، ارحم و ترحم من بريوما بربه، في كل خبرة عبرة، من مأمنة يوتي الحذر ، إذا نزل القدر عمي البصر وإذا نزل الحين نزل بين الأذن العين، الخمر مفتاح كل شرو القناعة مال لا ينفد، القلم أحد اللسانين".([42])

حسن الخلق:

قال أبو العباس: قال الأحنف بن قيس: ألا أدلكم على المحمدة بلا مرزئة؟ الخلق السجيح، والكف عن القبيح. ألا أخبركم بأدوا الداء؟ الخلق الديء، واللسان البذيء.([43])

الجود مع الإقلال:

صفة من صفات المؤمنين ينقل ابن عبدربه في العقد الفريد الآية من القرآن الكريم واقوال النبي صلى الله عليه وآله وسلم و الحكماءفي هذا الصدد يقول"قال الله تبارك و تعالى فيما حكاه عن الأنصار: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[سورة الحشر:9].وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "أفضل العطية ما كان من معسر إلى معسر".وقال عليه الصلاة والسلام: "أفضل العطية جهد المقل".وقالت الحكماء: القليل من القليل أحمد من الكثير إلى الكثير.(44)

لطيف الاستمناح:

قالت الحكماء: لطيف الاستمناح سبب النجاح، والأنفس ربما انطلقت وانشرحت بلطيف السؤال، وانقبضت وامتنعت بجفاء السائل.

وقال العتابي: إن طلبت حاجة إلى ذي سلطان فأجمل في الطلب إليه، وإياك والإلحاح عليه؛ فإن إلحاحك يكلم عرضك ويريق ماء وجهك، فلا تأخذ منه عوضاً لما يأخذ منك؛ ولعل الإلحاح يجمع عليك إخلاق ماء الوجه، وحرمان النجاح؛ فإنه ربما مل المطلوب إليه حتى يستخف بالطالب.(45)

ينقل ابن عبدربه من الأدب الفارسي قصة ذي حاجة على باب ملك من الأكاسرة:يقول"وقدم رجل على ملك من ملوك الأكاسرة، فمكث ببابه حيناً لا يصل إليه، فتلطف في رقعة أوصلها إليه، وفيها أربعة أسطر:في السطر الأول: الضر والأمل أقدماني عليك.والسطر الثاني: الفقر لا يكون معه صبر على المطالبة.والسطر الرابع: فإما نعم مثمرة، وإما لا مريحة.فلما قرأها وقع تحت كل سطر منها بألف مثقال وأمر له بها."(46)

شكر النعمة:

سليمان التميمي قال: إن الله أنعم على عبادة بقدر قدرته، وكلفهم من الشكر بقدر طاقتهم.وقالوا : إذا قصرت يداك عن المكافأة فليطل لسانك بالشكر.وقالوا: ما نحل الله تعالى عباده شيئا أقل من الشكر ، وأعتبر ذلك بقول الله عزوجل {وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ}[سورة سبا:13].(47)

مدح الكرم وذم البخل:

قال النبي صلى الله عليه وسلم : "اصطناع المعروف يقي مصارع السوء".وقال عليه الصلاة والسلام: "إن الله يحب الجود ومكارم الأخلاق ويبغض سفافها.

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لقوم من العرب: "من سيدكم؟ قالوا الجد بن قيس على بخل فيه فقال صلى الله عليه وآله وسلم: وأي داء أدوأ من البخل".وقال الله تعالى: { وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }[سورة الحجر:9].وقال أكثم بن صيفي حكيم العرب: ذللوا أخلاقكم للمطالب، وقودوها إلى المحامد، وعلموها المكارم، ولا تقيموا على خلق تدمونه من غيركم، وصلوا من رغب إليكم، وتحلوا بالجود يكسبكم المحبة ، ولا تعتقدوا البخل فتتعجلوا الفقر.(48)

الحلم والغضب:

أقام ابن قتيبه باب الحلم والغضب صفتين متضاداتين، ينقل في هذا الضمن الأحاديث النبوي كثيرة لأن النبي عليه الصلوة والسلام يحب الحلم وينصح ترك الغضب لأن صفة غضبية تغلب على حواس الإنسان . والشديد عنده صلى الله عليه وسلم الذي يملك نفسه عند الغضب.عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "ليس الشديد بالصراعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب". قال: حدثنا حبيب بن حجر القيسي قال: كان يقال: ما أحسن الإيمان يزينه العلم وما أحسن العلم يزينه العمل وما أحسن العمل يزينه الرفق، وما أضيف شي إلى شيء أزين من حلم إلى علم ومن عفو إلى مقدرة. وكان يقال : من حلم ساد ومن تفهم أزداد، والعرب تقول: أحلم تسد. وقال : سمي الله يحيى سيداً بالحلم.([49])

قال الأحنف: من لم يصبر على كلمة سمع كلمات ورب غيظ قد تجرعته مخافة ما هو أشد منه. قال أكثم بن صيفي: العز والغلبة للحلم . وقال علي بن أبي طالب عليه السلام: أول عوض الحليم من حلمه أن الناس أنصاره على الجهول.([50])

قال لقمان الحكيم: ثلاث من كن فيه فقد أستكمل الإيمان: من إذا رضي لم يخرجه رضاه إلى الباطل، وإذا غضب لم يخرجه غضبه من الحق، وإذا قدر لم يتناول ماليس له. وقال لابنه: إن أردت أن تؤاخي رجلاً فأغضبه، فإن أنصفك في غضبه وإلا فدعه.([51])

المروءة:

المروءة من خلق حسن وفي تعد ترك الذة ,ونقل ابن قتيبة في هذا الموضوع حديث النبوي صلى الله عليه وآله وسلم وآثار الصحابة و أقوال العلماء.

روي كثير بن هشام عن الحكم بن هشام الثقفي قال: سمعت عبدالملك بن عمير يقول: إن من مروءة الرجل جلوسه ببابه. قال الحسن: لا يدن إلا بمروءة. قيل لابن هبيرة: ما المروءة ؟ قال : إصلاح المال، والرزانة في المجلس، والغداء والعشاء بالفناء. قال إبراهيم: ليس من المروءة كثرة الالتفات في الطريق ولا سرعة المشي. ويقال: سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن.قال معاوية: المروءة ترك اللذة.([52])

يناقش المبرد المروءة أيضا ويأتي أقوال الصحابة والحكمآء العرب ويروى عن ابن عمر أنه كان يقول: إنا معشر قريش كنا نعد الجود والحلم السودد، ونعد العفاف وإصلاح المال المروءة.

قال الأحنف بن قيس: كثرة الضحك تذهب الهيبة، وكثرة المزاح تذهب المروءة ، ومن لزم شيئاً عرف به.وقيل لعبد الملك بن مروان: ما المروءة؟ فقال موالاة الأكفاء، ومداجاة الأعداء.وتأويل المداجاة: المداراة، أي لا تظهر لهم ما عندك من العداوة، وأصله من الدجى، وهو ما ألبسك الليل من ظلمته.وقيل لمعاوية: ما المروءة؟ فقال : احتمال الجريرة، واصلاح أمر العشيرة فقيل له: فما النبل؟ فقال: الحلم عند الغضب، والعفو عند القدرة.([53])

قضاء حاجة المسلمين واصطناع المعروف:

هذا أيضا من الحسن الخلق أن يقضي المسلم حاجة أخيه, يقوم ابن قتيبه بابا خاصا فى كتاب الحوائج ويرغب المسلمين في قضاء الحاجة واصطناع المعروف.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "من ترك معونة أخيه المسلم والسعي معه في حاجته . ومن ترك الحج لحاجة عرضت له لم تقض حاجته حتى يرى روءوس المحلقين".(54)

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأصحابه: من كانت له إلي منكم حاجة فليرفعها في كتاب، لأصون وجوهكم عن المسألة.وقالوا: من بذل إليك وجهه فقد وفاك عن نعمتك.و أكمل الخصال ثلاث: وقار بلاد مهابة، وسماح بلا طلب مكافأة، وحلم بغير ذل.والسخي من كان مسروراً ببذله ، متبرعا بعطائه، لا يلتمس عرض دنيا فيحبط عمله، ولا طلب مكافأة فيسقط شكره ، ولا يكون مثله فيما أعطى مثل الصائد الذي يلقي الحب للطائر: لا يريد نفعها ولكن نفع نفسه.(55)

القناعة والاستعفاف:

يذكر ابن قتيبة الآيات القرآنية و الأحاديث وآثار الصحابة وأقوال الحكماء والأدباء في هذا الصددلا يمكن لنا أن ننقل كلها بل نوجز منها: قال عمررضي الله عنه: ليس من عبدٍ إلا وبينه وبين رزقه حجاب، فإن أقتصد أتاه رزقه وإن اقتحم هتك الحجاب و لم يزد في رزقه.(56)

وكان يقال: أنت أخو العزما التحفت القناعة واليأس حر والرجاء عبد.وقال بعض المفسرين في قول الله عزوجل :{فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً}[سورة النحل:97] وقال سعد بن أبي وقاص لابنه عمر: يأبني إذا طلبت الغنى فاطلبه بالقناعة، فإن لم تكن لك قناعة فليس يغنيك مال.(57)الأصمعي قال: قال يحيى بن خالد: الشريف إذا نقر تواضع والوضيع إذا نقر تكبر. الأصمعي قال: لا أراه أخذه إلا من كيس غيره.(58)

ومن الأخلاق الحسنة المروءه والحلم والعسر والحياء. قال ابن قتيبة حدثني أبو مسعود الدارمي، قال: حدثني جدي خراش عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "الحياء شعبة من الإيمان". وروى ابن نمير عن الأخوص ابن حكيم، قال : حدثني أبو عون المدني قال: سمعت سعيد بن المسيب يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "قلة الحياء والإيمان مقرونان جميعاً فإذا رفع أحدهما ارتفع الآخر. وكان يقال: أحيوا الحياء بمجالسة من يستحيا منه.(59)

خصائل السوء و الفساد:

تناول ابن قتيبة الأخلاق الفاضلة والشمائل الحسنة كما كشف أخلاق السوء وخصائل الفساد. ويعرض ابن قتيبة خصائص السوء مع حسن الخلق منها:الحسدو الغيبةوالبخل والكذبو يقول "قال عبدالملك للحجاج: إنه ليس من أحد إلا وهو يعرف عيب نفسه فعب نفسك قال: أعفني يا أمير المؤمنين. قال لتفعلن. قال: أنا لجوج حقود حسود، قال عبدالملك: ما في الشيطان شر مما ذكرت. قال بعض الحكماء: الحسد من تعادي الطبائع واختلاف التركيب وفساد مزاج البنية وضعف عقد العقل والحاسد طويل الحسرات.(60)قال

الأصمعي: رأيت أعرابياً قد أتتْ له مائة وعشرون سنة، فقلت له: ما أطول عمرك! فقال: تركت الحسد فبقيت.([61])

قال الحسن : لا غيبة إلا لثلاثة: فاسق مجاهرٍ بالفسق، وذي بدعةٍ، وإمام جائرٍ. وكان يقال : من أغتاب خرق ومن استغفر الله رفأ وفي بعض الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "إذا عاب أحدكم أخاه فليستغفر الله".([62])عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "خصلتان لا تجتمعان في مؤمن :سوء الخلق والبخل".([63])

الحمق:

اتجهه ابن قتيبة خصلة الحمق لأنه يدل على الجهالة يحذر المسلمون منه.قال أبو الدرداء: علامة الجاهل ثلاث: العجب، وكثرة المنطق فيما لا يعنيه، وأن ينهى عن شيء ويأتيه.قال عمر بن عبدالعزيز: خصلتان لا تعدمانك من الجاهل: كثرة الإلتفات وسرعة الجواب. وقال عمر بن الخطاب: إياك ومؤاخاة الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك. وقال بعضهم: لأن أزاول أحمق أحب إلي من أن أزوال نصف أحمق ، يعني الأحمق المتعاقل.([64])

حكمة الأخلاق عند ابن أبي الربيع:

شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي الربيع، من رجال المعتصم. ذكر الزركلي وكحالة وصاحب كشف الظنون: أن له كتاب "سلوك المالك في تدبير الممالك" وهو من أصحاب الحكمة و السياسة دون المزيد من المعلومات عن حياته، وقد تتبعنا ترجمته في المصادر المطبوعة المتوفرة، و لم نزد على ما ذكره هؤلاء سوى ما ذكره صاحب الأعلام و صاحب معجم المؤلفين أن ولادته كانت سنة 218هـ ووفاته سنة 272هـ.كتب"سلوك المالك في تدبير الممالك"يتحدث فيه أحكام الأخلاق وأقسامها بالتفصيل ويقول عنأربعة

أصول لرياضة النفس وإصلاح الأخلاق:

"وقد أجمعت الفلاسفة على أن جميع أجناس الفضائل التي لا تحتاج في اقتناء كمال النفس إلى غيرها مجتمعه، في أربعة أصول يتفرغ منها فروع كثيرة وهي:

الحكمة:وهي علة صحة الفكر والروية والتميز في سائر الأشياء ، وقوامها في القوة الفكرية.

والعفة: وهي علة الورع وضبط النفس عن الشهوات المؤذية الفانية، وقوامها في القوة الشهوانية.

والشجاعة: وهي علة الإقدام، وأن لا نهزم المرء عند الشدائد والمخاوف، وقوامها في القوة الغضبية.

والعدالة: وهي علة الأفعال ووضعها في مواضعها اللاتقة بها، وقوامها في اعتدال هذه القوى.([65])

القوة الفكرية: وهي العاقلة الفكرية ومساكنها الدماغ وأحد قواها الفهم الفارق بين الحق والباطل، والأدب يحركها نحو أفعالها الصالحة وغرضها الحق وبها يكون الفكر ويختص بها الإنسان:

فإن اعتدلت: فصاحبها يوصف بجودة العق وصحة الفكر والتميز.وإن خرجت عن الاعتدال فإما إلى : الزيادة: فإنه يوصف بالمكر والخبث.أو النقصان: فإنه يوصف بالبلادة والعي.([66])

القوة الغضبية: وهي الحيوانية السبعية ومسكنها القلب ويشارك الإنسان بها الحيوان، واحد قواها حب الغلبة والرئاسة، وبها يدفع مالا يوافق بدنه و نفسه.

فإن اعتدلت: فصاحبها يوصف بالشجاعة والفروسية وقوة القلب,وإن خرجت عنه فإما إلى: الزيادة: فإنه يوصف بالتهور وكثرة الغضب، أو النقصان: فإنه يوصف بالجبن وضعف النفس.([67])

القوة الشهوية: وهي المغذية النباتية، ومسكنها الكبد، ويشارك بها الحيوان النبات، وبها يبقى التناسل والأدب يكسبها السكون وبها يطلب الموافق من الأغذية:فإن اعتدلت: فصاحبها يوصف باعتدال الشهوة في الماكل والمشارب.وإن خرجت عنه فإما إلى الزيادة: فإنه يوصف بالشرة والنهم.أو النقصان: فإنه يوسف بكلال الشهوة وضعفها.

فهذه الأصول والمباديء ومنها تنشأ السجايا والأخلاق في الإنسان بتوسط تلك الفضائل التي تقدم ذكرها ولها في أفعالها الصادرة عنها أفعال مختلفة عند الإفراط والتوسط، والتفريط. فما كان عن التوسط كان محموداً أو سمي بالمحاسن والفضائل وما كان عن غير التوسط كان مذموماً وسمي بالمساوئ والرذائل. وتنقسم إلى أقسام.

فالفضائل: كالحكمة والعفة وأخواتهما، ولها أسباب: وعلل.كالخط والبحث والتعلم،ولواحقها: كالفقه والفهم، وآثار كتمييز الصدق والخير وإيثارهما.وأجزاء: كالتؤدة وحسن الروية.

وأما الرذائل: كالجبن و الخرق والفجور.عللها: كالنسيان والبلادة و لواحقها: كالندامة والبله.وأجزاؤها: كالطيش وسوؤ الروية، وأعمال.أعمالها: إجراء الأشياء على ضد الصواب."([68])

والرذائل موجودة في الأكثر غالبة عليهم وينقسمون إليها على أقسام منها:العبادة وهي تعظيم الله تعالى وتمجيده وطاعته وإكرام رسله عليهم السلام.والصداقة وهي محبة صادقة واهتمام بجميع أسباب الصديق.والألفة: وهي اتفاق الآراء على التعاون في تدبير العيش.

وصلة الرحم: وهو مشاركة ذوي اللحمة في الخيرات و مواصلتهم.والمكافأة: وهو مقابلة الإحسان بمثله والزيادة عليه بما يحب.وحسن الشركة : وهو الاعتدال في الأخذ والإعطاء والإنصاف.وحسن القضاء: وهو المجازاة بغير من ولا ندم.([69])

يذكر المؤلف كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال: "سبب الحلم التواضع وسبب الغنى القناعة وسبب النبل العفاف وسبب العقل المدارة.وسبب الأدب: المواظبةوسبب الثناء السخاء.وسبب قضاء الحوائج: الرفق وسبب الرزق : الطلب.وسبب المزيد: الشكرو سبب المحبة: الهديةوسبب الأخوة: البشاشة وسبب الذل: السؤال وسبب الهوان: الطمع.وسبب الحرمان: الكسل والخير كله يجمعه: الحياء والعقل.([70])

خلاصة البحث : درسنا فيه أن كانت الأخلاق من أول عهد الإسلام مبنية على دين الإسلام ومصدرها القرآن الكريم والسيرة النبوية والحكم والأمثال والقصص والخطابة وصلت إليهم من الأدب العربي. بعد ذلك نظرنا أنهم قاموا بأخذ من المصادر الأجنبية كثيرة كحكماء اليونان والفرس والهند. فلما دخل كثير من الفرس في الإسلام وكانت لهم ثروة كبيرة من الحكم والأمثال في جميع مرافق الحياة نقلوها إلى العربية.كان الحكماء المسلمون يأخذون فلسفة الأخلاق من حكماء اليونان و الهندأيضا.

دونت كتب الأخلاقية والحكمة العملية في العصور الإسلامية وتشكل أهم قسم من أقسام الأدب الإسلامي عامة و العربي خاصةويعد كتاب "عيون الأخبار"لابن قتيبة والعقد الفريد لابن عبدربه والكامل في اللغة والأدب للمبرد وسلوك المالك في تدبير الممالك ابن أبي الربيع نموذج قيم لهذا النوع. نظرنا أن جميع الأدباء في القرن الثالث الهجري يتأثرون من الأدب الفارسي والأدب اليوناني والأدب الهندي. وتسمى "الأدب الأخلاقي" المجموعة من التعاليم والأمثال والحكم والموضوعات الأخلاقية التي جمعها مؤلفوا الآثار الأدبية العربية من مختلف الثقافات، التي يتأثر العقل العربي .

و الجدير بالذكر هنا أن الجاحظ اهتم بالأخلاق وهي مبثوثة في معظم كتبه ككتاب الحيوان والمحاسن والأضداد والرسائل والبيان والتبيين وغيرها من الكتب الأخرى، وحشر فيها كثيرا من المواقف الأخلاقية فتمتاز في الأخلاق والقيم الأخلاقية عنده استجاز الوعد وكتمان السر و حفظ اللسان والشكر والصدق والقناعة والإجمال في الطلب و نهى عن العداوة والحسد والكذب والبخل وكفران الشكر والنعم.

ويذكر ابن أبي الربيع الأخلاق وأقسامها على بساط البحث بالتفصيل وفضائل ورذائل الأخلاق، وفضائل القوة الشهوانية ورذائلها. إن مفهوم الأخلاق عند الجاحظ هي ضروب السلوك البشري الباعثة للسرور والغبطة في نفوس الآخرين إن كانت أيجابية والداعية وإن كانت سلبية.ويناقش تباين الطبائع الإنسانية ويقر بهذه الفوارق والاختلافات بين الشعب ويستنتج "أن الله تعالى خالف بين طبائع الناس ليوفق بينهم". ويعرض الجاحظ لنماذج كثيرة من أثر البيئة في طبائع الإنسان وأخلاقه كبخلاء والمغنيين والكتاب والمعلمين والغلمان والجواري والوكلاء والتجار وسواهم.

نجد تهذيب الأخلاق في القرن الثالث الهجري عامة- الذي اهتم به الأدباء والتجار والصوفياء هم الذين بلغوا دينهم في الصوره الحسنة في العالم. هناك حاجة مآسة إلى الاستفادة من علم الأخلاق في حياتنا العامة لأنه إذا تحلى الإنسان الصفات الحميدة يمكن له المنع من الرذائل. فلذا اهتم به في المؤسسات التعليمية والدوائر الحكومية بصورة عملية. تحقيقا لما جاء في القرآن الكريم {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} [الأحزاب: 21]ونستفيد من سيرة خير الأنام لأن خلقه القرآن الكريم و سيرته مصباح لنا في أمور الحياة كلها كما قال الله تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ}.[القلم: 4].

فهرس المصادر والمراجع

1. القرآن الحكيم.
2. أحمد أمين: ظهر الإسلام , دار الكتاب العربي, بيروت لبنان ,ط:3.
3. التهانوي:محمد على بن على بن محمد الحنفي (ت : بعد السنة 1158هـ): كشاف اصطلاحات الفنون,وضع حواشية: أحمد حسن , دار الكتب العلمية , بيروت , لبنان 1998م/1318ه.
4. الجابري: الدكتور محمد عابد(ت 2010مـ) : العقل الأخلاقى العربي, مركز دراسات الوحدة العربية بيروت,ط:3 ستمبر 2009م.
5. الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب (ت 255هـ): كتاب البخلاء , تحقيق طه الحاجري , دار الكاتب المصري , 1948م.
6. الجاحظ:كتاب الحيوان, تحقيق عبدالسلام محمد هارون , دار الكتاب العربي بيروت 1969م.
7. الجاحظ:رسائل الجاحظ, جمعها ونشرها حسن السندوبي, القاهرة, 1933.
8. الجاحظ: حجج النبوة الرسائل الكلامية ــ قدم لها وبوبها وشرحها د.علي أبو ملحم ــ دار ومكتبة الهلال ــ بيروت ــ ط 1 ــ 1987م.
9. الجاحظ: المحاسن والأضداد , تحقيق فوزي عطوي , دار صعب بيروت , 1969م.
10. جعفر آل ياسين(ت:1980مـ): الفارابي في حدوده ورسومه , عالم الكتب , بيروت , 1985م.
11. الراغب الأصفهاني, أبو القاسم حسين بن محمد (ت 502هـ): المفردات في غريب القرآن, المكتبة المرتضوية لأحياء الآثار الجعفراية,(د.ت).
12. ابن أبي الربيع : شهاب الدين أحمد بن ابي الربيع (ت 272هـ) :سلوك المالك في تدبير الممالك, تحقيق : عارف أحمد عبدالغني , داركتان , دمشق , 1996م.
13. زكى مبارك : الأخلاق عند الغزالي,مطابع دار الكتاب العربي بمصر, د. ت
14. ابن سينا: أبو على الحسين عبدالله (ت 428هـ): عيون الحكمة, تحقيق: عبدالرحمن بدوي, منشورات المعهد العلمي بالقاهرة , 1954م.
15. ابن عبدربه (ت 329هـ): العقد الفريد,تحقيق: المجيد محمد قمية , دار الكتب العلمية , بيروت, د.ت.
16. عبدالسلام عبدالعزيز فهمي: دكتور :كتب الأخلاق والحكمة العلمية الساسانية تأثيرها فى الأدب الأخلاقى الإسلامى, بجامعة عين الشمس, 1998م.
17. عبدالكريم زيدان :أصول الدعوه , ط 3 , دار العرفان مصر , 1408هـ.

18. عزت السيد أحمد: فلسفة الأخلاق عند الجاحظ , منشورات اتحاد الكتاب العرب , دمشق 2005م.
19. الغزالي: أبو حامد(ت 505هـ): إحياء علوم الدين , دار المعرفة , بيروت, د.ت.
20. الفارابي: أبو نصر, محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلخ (ت 339هـ): تحصيل السعادة, تقديم علي بوملحم دار و مكتبة الهلال, 1995م.
21. ابن قتيبة: أبو محمد عبدالله بن مسلم (ت: 276هـ): عيون الأخبار, دار الكتب العلمية بيروت ,1406هـ/1986م.
22. القنوجي :صديق بن حسن (ت 1307هـ): أبجد العلوم, دار ابن حزم,د.ت.
23. المبرد أبو العباس محمد بن يزيد(ت 286هـ): الكامل في اللغة والأدب , الهنداوي: تحقيق, دار الكتب العلمية لبنان ,1999م.
24. محمد محمدي: "كتاب التاج للجاحظ وعلاقته بكتب تاجنامه" في الادب الفارسي الساساني" في مجلة الدراسات الأدبية،مجلة فصلية في الثقافتين العربية والفارسية و تفاعلهما، و يصدرها قسم اللغة الفارسية وآدابها بالجامعة اللبنانية , العدد الأول, 1959.
25. مسكويه : أبو على أحمد بن محمد (ت 421هـ): تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق , ط2- تقديم حسن تميم دار مكتبة الحياه للطباعة والنشر بيروت.
26. ابن المقفع :عبدالله بن المقفع (ت 146هـ): الأدب الصغير: تحقيق أحمد زكى باشا: ط1 مطبعة مدرسة محمد علي الصناعية بالإسكندرية 1911م.
27. ابن منظور: محمد بن مكرم الأنصاري(ت: 711هـ): لسان العرب,دار إحياء التراث العربي,1408ه.

الهوامش

1- الفيروز آبادي: القاموس المحيط 229/3.
2- ابن منظور- محمد بن مكرم الأنصاري(ت: 711هـ): لسان العرب,86/10.
3- الراغب الأصفهاني, أبو القاسمحسين بن محمد (ت 502هـ): المفردات في غريب القرآن, ص 158.
4- الفارابي: تحصيل السعادة , ص 53.
5- ابن مسكويه : تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق , ص 51.
6- عبدالكريم زيدان :أصول الدعوه, ص 79 .
7- التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون, 53/1.

[8]- الفارابي:تحصيل السعادة, ص53.

[9]- جعفر آل ياسين: الفارابي في حدوده ورسومه,ص235-236.

[10]- المصدر نفسه,ص 236.

[11]- الجابري, الدكتور محمد عابد: العقل الأخلاقي العربي, ص 408-409.

[12]- أحمد أمين: ظهر الإسلام,180/1.

[44]- الغزالي: إحياء علـــوم الدين ,3 /53.

[14]- زكى مبارك : الأخلاق عند الغزالي, ص 111.

[15]- المصدر نفسه , ص 128.

[16]- محمد محمدي: "كتاب التاج للجاحظ وعلاقته بكتب تاجنامه" في الادب الفارسي الساساني" في مجلة الدراسات الأدبية،مجلة فصلية في الثقافتين العربية والفارسية و تفاعلهما، و يصدرها قسم اللغة الفارسية وآدابها بالجامعة اللبنانية , العدد الأول, 1959, ص 39.

[17]- عبدالسلام فهمي: كتب الأخلاق والحكمة العملية الساسانية وتأثيرها في الأدب الأخلاقي الإسلامي, ص 15-16.

[18]- أحمد أمين : ظهر الإسلام 175/1.

[19]- ابن المقفع: الأدب الصغير,ص 28.

[20]- المصدر نفسه , ص 46.

[21]- المصدر نفسه , ص 112.

[22]- عزت السيد أحمد: فلسفة الأخلاق عندالجاحظ,ص 78.

[23]- المصدر نفسه , ص 80.

[24]- المصدر نفسه, ص 97.

[25]- المصدر نفسه, ص 104 – 105.

[26]- الجاحظ:كتاب الحيوان, تحقيق عبدالسلام محمد هارون, 1 / 42 - 43.

[27]- المصدر نفسه 1 / 43.

[28]- الجاحظ: المحاسن والأضداد, ص 14.

[29]- ابن قتيبة: عيون الأخبار,30/2-31.

[30]- الجاحظ: المحاسن والأضداد ,ص2.

[31]- الجاحظ: الجاحظ:رسائل الجاحظ, ص222.

[32]- الجاحظ: المحاسن والأضداد ,ص7.

[33]- المصدر نفسه والصفحة, ص 8.

[34]- المصدر نفسه والصفحة.

[35] الجاحظ: الرسائل- ص221.

[36]- ابن عبدربه: العقد الفريد, 1/204-205.

[37] - المبرد: الكامل في اللغة والأدب ,1/ 129.

[38] - المصدر نفسه330/1.

[39]- المبرد : الكامل في اللغة والأدب,46/1.

[40]- المصدر نفسه والصفحة.

[41]- المصدر نفسه,159/1.

[42]- ابن عبدربه : العقد الفريد 2/62-63.

[43]- المبرد :الكامل 1/ 185.

[44]- ابن عبدربه: العقد الفريد196/1.

[45]- المصدر نفسه 212/1.

[46]- المصدر نفسه 225/1،226.

[47]- ابن عبدربه: العقد الفريد:234/1.

[48]- المصدر نفسه 189/1.

[49]- ابن قتيبه: عيون الأخبار396/1-397.

[50]- المصدر نفسه 399/1.

[51]- المصدر نفسه 405/1.

[52]- المصدر نفسه 311/1-312.

[53]- المبرد: الكامل 97/1.

[54]- ابن قتيبه: عيون الأخبار194/3-195.

[55]- ابن عبدربه: العقد الفريد198/1-199.

[56]- ابن قتيبه: عيون الأخبار204/3.

[57]- المصدر نفسه 207/3.

[58]- المصدر نفسه 376/1.

[59]- المصدر نفسه 391/1.

[60]- ابن قتيبه: عيون الأخبار12/2.

[61]- المصدر نفسه 15/2.

[62]- المصدر نفسه 17/2.

[63]- المصدر نفسه 37/2.

[64]- ابن قتيبه: عيون الأخبار47/2.

[65]- شهاب الدين أحمد بن أبي الربيع: سلوك المالك في تدبير الممالك, ص 47.

[66]- المصدر نفسه, ص 48.

[67]- المصدر نفسه, ص 49.

[68]- المصدر نفسه والصفحة.

[69]- المصدر نفسه - ص 51.

[70]- المصدر نفسه ,ص 57.